المعاني البلاغيّة لاسم الاستفهام (مَنْ) في ديوان المُفَضَّليَّات

محمد عبد الرحمن هريش* أ.د.عصام الكوسى**

(الإيداع: 25 تموز 2021 ، القبول: 5 آيلول 2021)

الملخص

يجتهد هذا البحث في تتبُّع مواضع اسم الاستفهام (مَنْ) في ديوان المفضليات، وتبيان المعاني البلاغية التي خرج إليها في كل موضع، وذلك لأمرين:

أولهما: لأهمية أسلوب الاستفهام وكثرة استعماله والاعتماد عليه، وذلك لمقدرة هذا الأسلوب على تحريك الذهن وتنشيط الفكر، وإشراك المتلقي في التفكير والشعور، وحمل المعاني العديدة في العبارة الموجزة. وثانيهما: لِمَا لديوان المفضليات من قيمة عظيمة تتجلى في اختيار المفضَّل الضَّبِّيّ(ت 178هـ) عدداً من أهم قصائد الشعراء القدماء النادرين، وحفظها من الاندثار. وهي قصائد ذات قيمة تاريخية لِما جاء فيها من عادات العرب وأيامهم وتفكيرهم. ولها قيمة لغوية نحوية لأنها تحتوي على اللغة النادرة. ولأنها شواهد شعرية يُحتَجُّ بها، فهي ضمن عصر الاحتجاج. وقد توسَّل البحث بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على الاستقراء لتتبّع مواضع الاستفهام بـ (مَنْ) في المفضليات، وتجلية الأغراض البلاغية التي حملها هذا الاستفهام. وفي سبيل ذلك اعتنى البحث ببيان خصائص اسم الاستفهام (مَنْ) وإحصاء مواضعه في المفضليات، وتحليلها بهدف استخراج المعاني البلاغية التي تنطوي عليها، مع التركيز على ما يجود به السياق من معانٍ تساعد على توجيه الغرض البلاغي. وقد توصل البحث إلى نتائج تظهر مدى تعدد الأغراض البلاغية التي جملها اسم الاستفهام (مَنْ) وتنوعها، والأثر البارز الذي أدّاه السياق في إظهار الغرض البلاغي الذي قصده الشاعر.

الكلمات المفتاحية: مَنْ– أسلوب. استفهام.–المعاني بلاغية.–المفضَّليَّات.

*طالب دكتوراه في كلية الآداب ـ جامعة البعث

**أستاذ النحو والصرف في كلية الآداب ـ جامعة البعث

Rhetorical Meanings of the Interrogative Noun (who) in the Diwan Al-mufaddlyat

Mohamed Harbash* **Professor.Dr. Essam Al-Koussa****

(Received: 25 July 2021, Accepted: 5 September 2021)

Abstract:

This research strives to trace the positions of the interrogative noun (who) in Diwan Al-mufaddlyat, and to clarify the rhetorical meanings that he went to in each place, for two reasons:

The first: the importance of the interrogative method and its frequent use and dependence, due to the ability of this method to move the mind and stimulate thought, and to involve the recipient in thinking and feeling, and carrying the many meanings in the brief statement.

The second: the great value of Diwan Al-mufaddlyat, which is reflected in the selection of Al-Mufaddal Al-ddabby (d.178 AH) of a number of the most important rare ancient poets' poems, and their preservation from extinction. It has a grammatical linguistic value because it contains the rare language. and because it is poetic evidence that is invoked, it is within the age of protest.The research resorted to the descriptive-analytical method, which is based on induction, to track the interrogative places with (who) in the Al-mufaddlyat, and to clarify the rhetorical purposes of this interrogative style. For this purpose, the research focused on clarifying the characteristics of the interrogative noun (who) and counting its places in Al-mufaddlyat, and analyzing them with the aim of extracting the rhetorical meanings involved, with a focus on the meanings that the context provides that help direct the rhetorical purpose. The research reached results that show the extent of the multiplicity of rhetorical purposes that were summarized by the interrogative noun (who) and its diversity, and the prominent

key words :who-Style-interrogative.Rhetorical meaningsAl-mofaddliat

❖ **مقدمة:**

يُعدّ أسلوب الاستفهام مِنْ أكثر الأساليب الإنشائية التي اعتمد عليها الشعراء في قصائدهم، وما ذاك إلا لبراعة لمقدرة هذا الأسلوب على تحريك الذهن وتنشيط الفكر، وإشراك المتلقي في التفكير والشعور، وإطلاق العنان للخيال أن يذهب كل مذهب في المساحة الشعرية التي خاض فيها الشاعر.

وإذا كانت صيغة (الاستفعال) التي اشتق منها الاستفهام تدل على طلب العلم والفهم[1]، وإذا كان الاستفهام بحد ذاته هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة[2]؛ فإنّ هذا البحث يخوض في المعاني البلاغية والأغراض السياقية التي تلازم أسلوب الاستفهام عندما يستعمله الشعراء في قصيدهم.

وإذا كانت البلاغة هي" تأدية المعنى الجليل بعبارةٍ صحيحةٍ فصيحةٍ لها في النفس أثر خلّاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه"[3]؛ فإن الغرض البلاغي هو ذلك المقصد النفسي الذي هاج في قلب الشاعر، وحرّك قريحته؛ فنسج من ذلك خيوط الكلام، وعبّر بالألفاظ والتراكيب عما تحرّك في قلبه وأثّر فيه.

وهذا البحث يتطلع إلى معرفة الغرض البلاغي الذي قصده الشاعر؛ من خلال التفكير التحليلي في ألفاظه وجمله وتراكيبه التي صاغها تلبيةً لِمَا في نفسه، إذ يستطيع الباحث من خلال إمعان النظر في الكلام البليغ أنْ يَستَخرجَ كثيراً من هذه الأغراض من خلال ملاحظة القرائن والنظر في الظروف المحيطة بالسائل وصيغة السؤال.

❖ **أهمية البحث:**

يركز البحث اهتمامه على اسم الاستفهام (مَنْ) في ديوان المفضليات، لِمَا لهذا الديوان من قيمة عظيمة تتجلى في الاجتهاد الجليل الذي قام به المفضَّل الضَّبِّي الراوية الثقة[4] حين اختار عدداً من عيون قصائد الشعراء القدماء المقلّين، وحفظها من الاندثار، وهي قصائد ذات قيمة تاريخية لِما جاء فيها من عادات العرب وأيامهم وتفكيرهم، ولها قيمة لغوية نحوية لِما فيها من الغريب، ولأنها شواهد شعرية يُحتَجُّ بها، فهي ضمن عصر الاحتجاج. ومن هنا فإنَّ أهمية البحث تأتي من التركيز على الجوانب الجمالية التي أضفتها الأغراض البلاغية لاسم الاستفهام (مَنْ) على السياق، ومقدرته على التعبير عمّا يجول في نفس شاعر المفضليات.

---

1 ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(تـ 711هـ)، دار التراث العربي، بيروت، ط2، 1992م، 459/12، و: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت 817هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ص1056.

2 حاشية الدسوقي على شرح السعد (شرح سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح)، ضمن (شروح التلخيص)، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي(ت 1230هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت، 246/2.

3 جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (تـــ 1362هـــ)، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ص40.

4 المفضَّلُ الضبيُّ(178هـ) هو المفضّل بن محمّد بن يَعْلَى بن عامر بن سالم من بني ضبّة، كوفيُّ المنشأ، وهو لغويٌّ أديب مقرئ، وهو حافظ ثبت، راويةٌ ثقة من رواة الشعر القديم، ومن أهل العلم باللغة والغريب، يكنى المفضَّلُ بأبي عبد الرحمن وأبي العباس. من تصانيفه كتاب الاختيارات، وكتاب الأمثال، وكتاب العروض، وكتاب معاني الشعر وكتاب الألفاظ، واختياراته الموسومة بالمفضليات من أجلّ كتب الاختيارات وأوثقها وأسماها قيمةً علميةً. ينظر: الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بالمعروف بابن النديم(تـــ 438هـــ)، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997م، ص94، و: معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(تـــ 626هـ)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، 2710/6.

❖ **منهج البحث:**

توسل هذا البحث بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على الاستقراء لتتبّع مواضع الاستفهام بـــ (مَنْ) في المفضليات، وتجلية الأغراض البلاغية التي حملها هذا الاستفهام.

❖ **الخصائص الدلالية والاستعمالية للاستفهام بـ(مَـنْ):**

يتمتع اسم الاستفهام (مَنْ) بالخصائص الدلالية والاستعمالية الآتية:

1. (مَنْ) اسم يُستفهم بها عمَّن يعقل، وتكون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث[1]. ويُحمَل الفعلُ على لفظها المذكرِ كثيراً، وقد يُحمَل على معناها[2]، نحو: مَن عندك؟ فتقول: محمد أو زينب، أو أخواي أو رفاقي، ولا يجوز أن تقول: جمل أو فرس ونحو ذلك، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:8]، فالمراد بها الجمع، لأنه قال في آخرها:﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.
2. يُسأل بـــ (من) عن العارض المُشَخَّص لذي العلم[3]، وهو الأمر الذي يعرض لذي العلم، ويُوجب تشخيصاً وتعييناً له بحيث يتميز عمَّن سواه من ذوات العلم، سواء أكان العارضُ عَلَماً أم كان وصفاً خاصاً به[4]، نحو: مَن في الصف؟ والإجابة مثلاً: خالدٌ، أو: الطالب الذي قابلْتُه أمس، فهذا الوصف المذكور تعيين للمُستَفهَم عنه.

   أما العارض غير المشخص أو العارض العام ككاتب ونحوه فلا يصح أن يقع جواباً للسؤال بـــ (مَن) لأنه لا يعيّن حقيقة ذي العلم[5].
3. يُطلب بـ (مَنْ) التصور لا التصديق لأنّ قولنا: مَنْ عندك؟ يتضمن أمرين:

   الأول: علم السائل باستقرار شخص أو أشخاص عند المخاطَب.

   الثاني: طلب تعيين ذلك الشخص أو الأشخاص من المخاطَب، فهو تصور محض، ولهذا كان الجواب عنها مفرداً لا مركباً[6]، قال تعالى:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[الزخرف:8]

❖ **المعاني البلاغية في مواضع الاستفهام بـ(مَـنْ) في المفضليات:**

اجتهد البحث في تتبُّع مواضع الاستفهام بـــ (مَنْ) في ديوان المفضليات، فكان عددها أحد عشر موضعاً، تعددت أغراضها البلاغية وتنوعت، فمنها ما هو بيّن ظاهر، ومنها ما يحتاج إلى فضل تأمل، إذ إنَّ الموضع الواحد قد ينطوي على غيرِ ما معنى بلاغي. وفيما يأتي محاولة لتصنيفها تحت أغراضها الظاهرة وتحليلها:

---

1 ينظر: الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه(تـــ180هـــ)، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، د.ت، 228/4، و: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس(تـــ395ه)، تح: محمد علي بيضون، ط1، 1997م، ص127.

2 ينظر: المفصل في علم العربية، أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله (ت538ه)، تقديم وتمكين محمد عزّ الدين السعدي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1990م، ص178.

3 ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن، أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني(تـــ739هـــ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، 64/3.

4 ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن (شروح التلخيص)، أبو العبّاس أحمد بن محمّد، ابن يعقوب المغربي(ت 1168ه)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت، 279/2.

5 ينظر: حاشية الدسوقي على شرح السعد، 279/2.

6 ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن (شروح التلخيص)، أبو حامد أحمد بن علي، بهاء الدين السبكي(تـــ 773ه)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت، 279/2-280.

◆ **المعنى الأول: التهكم:**

الموضع الأول: قال الجُمَيْحُ بن الطَّمَّاح[1]:

سَـــائِـلْ مَـعَـدّاً: **مَـنِ** الـفـوارسُ لا أَوْفَـوْا بِـجِـيـرَانِـهِـمْ ولا غَـنِـمُـوا[2]

يقول: اسأل العرب عن هؤلاء الفوارس الذين لم يوفوا بجيرانهم ولم يغنموا بل انهزموا بعد ذلك من سيوفنا[3].

وقد جاءت (مَنْ) في الجملة لطلب التصور أي لطلب معرفة ما دخلت عليه، أي لطلب معرفة هؤلاء الفوارس، وهذا يفيد أنه يعرف أن هنالك فوارس غدروا، ولكنه يريد تعيينهم وتحديدهم، والمراد بذلك التهكم والتشـــهير بهم[4]، وقد دخلت (مَن) على جمع العاقل، وذلك أصل فيها.

أراد الشاعر التهكم والاستهزاء ببني عامر الذين اقتتلوا مع قومه بني أسد، وغدروا بمَن أعطوه العهد والأمان، ثم انهزموا شرَّ هزيمة، فلا هم انتصروا، ولا هم ربحوا خُلُقَ الوفاء بالعهد. والغرض البلاغي من الاستفهام هنا هو التهكم بالأعداء والتشهير بفروسيتهم المزعومة، فإن هزيمة هؤلاء الفوارس قد حملت الشاعر على السخرية بهم، ومن فروسيتهم التي لم تنفعهم شيئاً، فلم يقدروا على أن يوفوا بذمتهم ويحافظوا على عهودهم، ولم يغنموا في معاركهم، وقد التســـمية بلفظة (الفوارس) زيادة في التهكم والسخرية بهم وبفروسيتهم.

وقد أراد الشاعر نشر مخازي الأعداء في العرب كلها، وفضح أمرهم على الملأ، لذا بدأ استفهامه في مطلع بيته بـــ: (سَائِلْ مَعَدّاً)، أي اسأل العرب كلَّها عنهم، لأن أكثر العرب في مَعَدِّ بن عدنان[5]، ومما زاد في نبرة التشهير إتيانه بصيغة المفاعلة (سائل) التي تفيد المبالغة واستمرارية دوران الأسئلة كثيراً بين الناس عن فرارهم وغدرهم. وبذلك انطوى استفهام الشاعر على غرض التهكم بما فيه من معاني التحقير والتشهير، فأدَّى الاستفهامُ المعاني المرادة منه في أوجز عبارة.

◆ **المعنى الثاني: التحسر والتوجع:**

الموضع الأول: قال عَبْدُ اللهِ بنُ سَلِمَةَ الغَامِدِيُّ[6]:

لِـمَـنِ الّـديـارُ بِـتَـوْلَـعٍ فـيَـبُـوسِ فـبَـيَـاضِ رَيْـطَـةَ، غَـيْـرُ ذَاتِ أَنِـيـسِ[7]

يقول الشاعر: لمَن هذه الديار الموحشة في (تولع ويبوس وبياض ريطة)، وهذه مواضع في أرض شنوءة[8]،

---

1 الجُمَيْحُ (تـ 53ق.هـ) بهيئة التصغير لقبه، واسمه منقذ بن الطَّمَّاح بن قيس، أحد فرسان الجاهلية يوم جَبَلة، وبه قُتِل. وكان من فرسان بني أسد المعدودين، وكان غزَّاء، وكان صـــاحب الغارة على إبل النعمان بن المنذر. ينظر: المفضـــليات، المفضـــل بن محمد بن يعلى بن ســـالم الضبي(ت178هـ)، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط6، 1979م، ص34.

2 المفضليات، ص41.

3 ينظر: شرح اختيارات المفضل، أبو زكريا يحيى بن عليٍّ الخطيبُ التبريزي(تـــ502هـ)، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م، 198/1.

4 ينظر: نفسه، 198/1.

5 المفضليات، ص41.

6 عَبْدُ اللهِ بنُ سَلِمَةَ الغَامِدِيُّ (تـــ 14هـ) وهو عبد الله بن سلمة بن الحارث بن عوف، والغامدي: نسبة إلى (غامد) وهو جده الأعلى عمرو بن كعب، سمي غامداً لأن رجلاً من بني الحارث بن يشكُر قال: (مَن أغمد سيفه فهو آمن). فأغمد عمرو سيفه، فسمي غامداً. ينظر: المفضليات، ص102.

7 المفضليات، ص105.

8 ينظر: شرح اختيارات المفضّل، 506/1.

وقد جاءت (مَن) لطلب التصور أي لطلب تعيين صاحب هذه الديار، ودخل على (من) حرف الجر اللام وهو حرف يفيد الملكية، وهي هنا للعاقل (أصحاب الديار).

والغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو التحسر والتوجع، فمنظر الديار التي كانت عامرة ثم صارت قفراً موحشاً ليس فيها أيُّ أنيس يبعث في نفس الشاعر التحسر والتوجع، فيتساءل عن أصحابها.

ويبدو هذا التحسر جلياً من خلال تكرار أسماء هذه الأماكن في البيت (تولع ـ يبوس ـ بياض ريطة)، فتتبُّع الأماكن الخرِبة، وتحديد أسمائها، وذكر وحشتها (ليس فيها أنيس) يضفي نبرة حزينة على البيت، وهذا أفاد كثيراً في تعميق التحسر والتوجع بوصفه غرضاً بلاغياً قصده الشاعر من هذا الاستفهام.

الموضع الثاني: قال الحَارِثُ بنُ حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيُّ[1]:

لِـمَـنِ الّـديـارُ عَـفَـوْنَ بـالـحُـبْـسِ آيَـاتُـهـا كَـمَـهَـارِقِ الـفُـرْسِ[2]

عَفَوْنَ: دَرَسْنَ ومُحِيْنَ، والحُبس: موضع، والمهارق: الصحف، يقول الشاعر: لمَن هذه الديار التي محيت آثارها ومعالمها، فآثار بقاياها على الأرض تشبه الكلمات المكتوبة في صحف الفرس[3].

وقد جاءت (مَن) هنا لطلب التصور، أي لطلب معرفة أصحاب هذه الديار الدارسة تعيينهم، وقد دخل حرف الجر اللام على (مَن)، وهو حرف يفيد الملكية، وهي هنا للعاقل (أصحاب الديار). والغرض البلاغي من الاستفهام التحسر والتوجع على دروس الدار حتى صارت في حكم ما يَشْتَبِه فلا يُعرف، بل يبعث على الشك في حقيقته[4].

إن مشهد الديار المقفرة يبعث في نفس الشاعر التحسر والتوجع، فيتساءل عن أصحابها محدداً موضعها وحالها. وقد شبَّه الشاعر منظر هذه الآثار العافية بكتابة الفرس على الصحف، وهذا التشبيه يرسم صورة جمالية للآثار في كيفية تشكُّلها على الأرض، لكنه يوحي بمدى فعل الزمن بهذه الديار، فهي عافية مُبْهَمَة لا يُعلَم منها شيء، ولا يُدرك من بقاياها مَعلَمٌ، كأنها ـ في منظرها واستغلاقها على الفهم والإدراك ـ النقوشُ الفارسية في صحف الفرس، وفي هذا التشبيه ما يؤكد التحسر والتوجع بوصفه غرضاً بلاغياً خرج إليه الاستفهام في البيت ويعمِّقه. وقد تضافر الاستفهام مع التصوير في البيت ـــ هو مطلع القصيدة ـ تضافراً أكسب القصيدة سمة (براعة الاستهلال).

الموضع الثالث: قال المُرَقِّشُ الأَكْبَرُ[5]:

لِـمَنِ الـظُّـعْـنُ بـالـضُّـحَـى طَـافِـيَـاتٍ شِـبْـهُـهَـا الـدَّوْمُ أَوْ خَـلَايَـا سَـفِـينِ[6]

---

1 سُوَيْدُ بنُ أبي كَاهِلٍ اليَشْكُرِيُّ (تـ بعد 60هـ) شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام أشهرُ شعره عينية كانت تسمى في الجاهلية(اليتيمة)، وقد عدَّه ابن سلّام الجمحي من أصحاب الطبقة الجاهلية السادسة. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، 146/3. و: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي(تـ232هـ)، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، 1974م، 152/1.

2 المفضليات، ص 132.

3 ينظر: شرح اختيارات المفضّل، 632/2، وينظر: ديوان المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، مع شرح أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري(ت304هـ)، عني بطبعه: كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م، ص236.

4 شرح اختيارات المفضّل، 632/2.

5 المُرَقِّشُ الأَكْبَرُ(تـ 75ق.هـ) عوف بن سعد بن مالك من بكر وائل، شاعر جاهلي، من المتيَّمين الشجعان، كان يعرف الكتابة فقد علَّمهُ أبوه وأخوه الخطَّ. واتصل مدةً بالحارث بن أبي شمر الغساني ونادمه ومدحه، واتخذه الحارث كاتباً له. ينظر: الأعلام، 95/5، و: المفضليات، ص221.

6 المفضليات، ص227.

الظُعُن: الإبل عليها هوادج النسـاء، وواحدها ظعينة. والدَّوْمُ: نوع من الشـجر، والخلايا: جمع خلية وهي السـفينة العظيمة. يشبه الشاعر الظعائن المرتحلة وقت الضحى، بشجر الدَّوْم أو بالسفن العظيمة، وصفها بأنها طَافِيَاتٍ لدخولها في السراب[1]. وقد دخلت اللام الجارة على (مَن) وهي تفيد الملكية للعاقل، وقد جاءت (مَن) هنا للسـؤال عن أصـحاب هذه الظعائن المسافرة، ويُطلب بها تعيين أهل هذه الظعائن.

والغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو التحسر والتوجع على رحيل الأحبة، اللواتي خرجن راكبات على الهوادج، ولقد أثار منظر هذه الهوادج الخارجة لوعة الشاعر وحزنه وحسرته، فأراد صوغ هذه المشاعر بأسلوب الاستفهام البليغ لمقدرته على إشراك المخاطب أو المسؤول في الخطاب، وإشراكه في المشاعر، ولمقدرته على حمل المعاني المتعددة في العبارة الموجزة. ويتوسَّل الشاعر في هذا البيت بالتصوير ليوصل إلى لمخاطب منظر الظعائن التي يتساءل عن أهلها، فهي ـــ مِن بُعْدِهَا ودخولها في السراب ـــ طافيات، فكأنها شجر الدَّوم أو كأنها السفن التي ترتحل في البحار فلا يُدرك من بُعدها إلّا هيئتها، وقد استغلق على الشاعر معرفة أهل الظُعن، وفي هذا تأكيد لغرض التحسر والتوجع الذي قصده الشاعر من الاستفهام.

الموضع الرابع: قال ثَعْلَبَةُ بنُ عَمْرٍو العَبْدِيُّ[2]:

لِـمَـنْ دِمَـنٌ كَـأَنَّـهُـنَّ صَـحَـائِـفُ قِـفَـارٌ خَـلَا مِـنـهـا الـكَـثِـيـبُ فَـوَاحِـفُ[3]

الدمن: آثار الديار. صـحائف: أراد النقش والكتابة عليها. الكثيب وواحف: موضـعان[4]. يقول الشـاعر: لمَن هذه الآثار في الكثيب وواحف، وقد خلت من أهلها، كأنها تشبه الخط والكتابة على الصحائف.

وقد جاءت (مَنْ) مجرورة بحرف الجر اللام، وهو يفيد الملكية، وهي هنا للسـؤال عن (الدِّمَن)، والدِّمَن من آثار الناس. وجاءت (مَنْ) لطلب التصور، أي لطلب تعيين أصحاب هذه الآثار.

والغرض البلاغي من هذا الاسـتفهام هو التحسـر والتوجع على رؤية آثار ديار المحبوبة، وإظهار التألم على هذه القفار الخالية بعد أن كانت خصبة عامرة بأهلها يزينها وجود المحبوبة فيها.

وقد عمد الشاعر إلى وصف آثار الديار بالخط على الصحائف للتدليل على استبهامها واستغلاقها على الإدراك، فهي في انمحائها وتشكُّلها على الأرض تشبه الخط على الصحف. وكذلك وصف الشاعرُ هذه الديار بأنها قفرة خالية من أهلها، وكلُّ ذلك أكد حسـرة الشـاعر ديار الأحبة وما حلَّ بها بعد ترك أهلها لها، وعزز الغرضَ البلاغي الذي اطوى عليه الاستفهام.

---

1 ينظر: شرح اختيارات المفضّل، 1011/2، وينظر: ديوان المفضليات، بشرح القاسم بن محمد الأنباري، ص467.

2 ثعلبة بن عمرو بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة بن سليمة العبديّ، من عبد القيس: شاعر جاهلي وقد ينسب إلى أمه فيقال له ابن أم حزنة. ينظر: الأعلام، 99/2، و: المفضليات، ص253.

3 المفضليات، ص281.

4 ينظر: ديوان المفضليات، بشرح القاسم بن محمد الأنباري، ص560.

الموضع الخامس: قال المُثَقِّبُ العَبْدِيُّ[1]:

لِمَنْ ظُعُنٌ تُطالِعُ مَنْ ضُبَيْبٍ فما خَرَجَتْ مِنَ الوادِي لِحِينِ[2]

ضُبَيْبٍ: موضع، يقول: لمن هذه الظعائن الراحلة من ضُبَيْبٍ، وقد مضى عليها زمن حتى خرجت من الوادي[3].

جاءت(مَنْ) هنا للسؤال عن (الظُعُن)، وهي مجرورة بحرف الجر اللام الذي يفيد الملكية، والظُعُن هي الهوادج التي تركب عليها النساء أي هي من متعلّقات العاقل. وجاءت (مَنْ) لطلب التصور، أي لطلب تعيين أصحاب هذه الظُعُن الخارجة من الوادي.

إنَّ الغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو التحسر والتوجع على رحيل الأحبة، فلقد أثار منظر خروج الظعائن من الوادي راحلةً لواعج الحسرة وألم الفراق عند الشاعر، وقد رحلت معها المحبوبةُ، فصاغ هذه المشاعر بأسلوب استفهامي بليغ عبر عن لوعته وتوجعه على الفراق.

الموضع السادس: قال بِشْرُ بنُ أبِي خَازِمٍ[4]:

لِمَنِ الدِّيارُ غَشِيْتُها بالأَنْعُمِ تَبْدُو مَعارِفُها كَلَوْنِ الأَرْقَمِ[5]

الأَنْعُم: موضع، مَعارِفُها: آثارها وعلاماتها، الأرقم: الحية البيضاء وعلى ظهرها نقاط سود. يقول الشاعر: لمَنْ هذه الديار التي لم يبقَ منها إلا آثار بادية كالنقط السود على ظهر الأرقم[6].

وقد جاءت (مَنْ) مجرورة بحرف الجر اللام التي تفيد الملكية، وهي هنا للعاقل (أصحاب الديار)، وقد جاءت (مَنْ) لطلب التصور، أي طلب تعيين أهل هذه الديار التي عَفَتْ مَعَالمُها.

وقد ساق الشاعر هذا الاستفهام في مطلع قصيدته لغرض التحسر والتوجع على خلاء الديار من أهلها، فقد رأى الشاعر ديار المحبوبة عافيةً دارسة قد مُحيت آثارُها بعد أن كانت عامرةً بمحبوبته فاستعان بأسلوب الاستفهام ليعبّر عمَّا خالجه من مشاعر وذكريات.

وقد شبّه الشاعر علامات الديار وآثارها على الأرض بالبقع السود على ظهر الحية، وهو تشبيه يأتي به الشاعر من بيئته، لكنه يعطي صورة منفّرة عن وحشة الدار وخلائها حين يستدعي صورة الأرقم في تشبيهه، وبذلك تكون الصورة البصرية التي رسمها الشاعر للديار الخاوية قد أفادت الغرض البلاغي الذي قصده من الاستفهام.

---

1 المُثَقِّبُ العَبْدِيُّ (ت 35ق.هـ) هو عائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة: شاعر جاهلي فحل، من أهل البحرين. وقد عدَّه ابن سلّام الجمحي من أصحاب طبقة شعراء البحرين. ينظر: الأعلام، 239/3. و: طبقات فحول الشعراء، 271/1.

2 المفضليات، ص288.

3 ينظر: ديوان المفضليات، بشرح القاسم بن محمد الأنباري، ص576، و: شرح اختيارات المفضّل، 1248/3.

4 بِشْرُ بنُ أبِي خَازِمٍ (ت 22ق.هـ) أبو نوفل، شاعر جاهلي فحل من الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة. عاصر النابغة الذبياني، وله قصائد جيدة في الفخر والحماسة، وقد عدَّه ابن سلّام الجمحي من أصحاب الطبقة الجاهلية الثانية. ينظر: الأعلام، 54/2. و: طبقات فحول الشعراء، 97/1.

5 المفضليات، ص345.

6 ينظر: شرح اختيارات المفضّل، 1443/3.

الموضع السابع: قال بَشَامَةُ بنُ الغَدِير[1]:

لِـمَـنِ الـدِّيـارُ عَـفَـوْنَ بـالـجَـزْعِ بـالـدَّوْمِ بَـيْـنَ بُـحـارَ فـالشِّـرْعِ[2]

الجَزْع: منعطف الوادي حيث انحنى، الدَّوْم وبُحار والشِّـرْع: أسـماء مواضـع، يقول: لمَنْ هذه الديار التي مُحِيَتْ آثارها عند منعطف الوادي بين الدَّوْمِ وبُحارَ والشِّرْعِ[3].

وقد جاءت (من) مجرورة بحرف الجر اللام التي تفيد الملكية، وهي هنا للعاقل (أصـحاب الديار)، وقد جاءت (مَنْ) لطلب التصور، أي طلب تعيين أهل هذه الديار التي درست معالمُه.

والغرض البلاغي من الاستفهام هنا التحسر والتوجع على خلاء الديار من أهلها، فقد أراد الشاعر إبراز تحسُّره على ديار المحبوبة التي باتت دارسةَ المعالم، موحِشةً بعد أن كانت عامرةً بأهلها، فعبَّر عن لواعج ألمه على فراقه محبوبته وتحسُّره على منظر ديارها الخالية عن طريق الاستفهام الذي يتساءل من خلاله عن أصحاب الديار. والشاعر يحدِّد مكان الديار الدارسة الآثار بدقة من خلال ذكر السبيل المؤدية إليها، وذكرِ أسماء المواضع التي تقع فيها (الجَزْع ـــ الدَّوْم ـــ بُحار ـــ الشِّرْع)، وهذا ممّا يعزز التحسر والتوجع بوصفه غرضاً بلاغياً خرج إليه الاستفهام هنا.

◆ **المعنى الثالث: الأمر:**

الموضع الأول: قال المُمَزَّقُ العَبْدِيُّ[4]:

فَـمَـنْ مُـبْـلِـغُ الـنُّـعْـمـانِ أنَّ ابـنَ أُخـتِـهِ عَـلَـى الـعَـيْـنِ يَـعْـتَـادُ الـصَّـفَـا ويُـمَـرِّقُ[5]

ابن أخته: رجل اسمه أُسَيِّد في روايةٍ أخرى للبيت، وهو أُسَيِّد بن عمرو بن تميم. العَيْن والصَّفَا: موضعان في البحرين، يُمَرِّقُ: يغني. يقول الشاعر: من يؤدي إلى النعمان أنّ هذا الرجلَ الذي قد راغمك وسعى فيما ساءك ناعمُ البال يغني طرباً بشعره[6].

وقد جاءت (مَنْ) في موضع رفع على الابتداء، وقد جاءت لطلب التصور، أي لطلب تعيين رجل يبلغ النعمان هذا الكلام، وقد سبق حرفُ الفاء اسمَ الاستفهام (مَنْ)، وهذا جائز في أدوات الاستفهام جميعها، إلا في الهمزة لأصالتها وصدارتها.

والغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو الأمر، فالشاعر يريد أن يُعْلِمَ النعمانَ بن المنذر أنّ هذا الرجل المذكور لا يعبأ بوعيده ولا يبالي بتهديداته، وهذا الرجل يستخفُّ قوةَ النعمان ولا يأبه له، وهو يسير في البلاد مرتاح البال مأمونَ الجانب يتغنَّى بشعره. وقد أراد الشاعر إيصال هذه الرسالة إلى النعمان عن طريق صياغة أسلوب استفهام حول تعيين الشخص الذي يمكن أن يؤدي هذه الرسالة والغرض من الاستفهام الأمر، أي أبلغوا النعمان أنّ هذا الرجل المذكور لا يأبه بقوته وسلطانه.

---

1 بَشَامَةُ بنُ الغَدِير، والغديرُ هو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة، شاعر جاهلي محسن مقدم، وهو خال زهير بن أبي سلمى. وقد عدَّه ابن سلّام الجمحي من أصحاب الطبقة الإسلامية الثامنة على الرغم من أنه يذكر قصة وفاته بحضور ابن أخته زهير، وزهير جاهلي. ينظر: طبقات فحول الشعراء، 709/2 و 718/2.

2 المفضليات، ص407.

3 ينظر: ديوان المفضليات، بشرح القاسم بن محمد الأنباري، ص826.

4 شأس بن نهار بن أسود، من بني عبد القيس، شاعر جاهلي قديم، من أهل البحرين، كان معاصراً لأبي قابوس النعمان بن المنذر. وقد عدَّه ابن سلّام الجمحي من أصحاب طبقة شعراء البحرين. ينظر: الأعلام، 152/3. و: طبقات فحول الشعراء، 274/1.

5 المفضليات، ص301.

6 ينظر: شرح اختيارات المفضّل، 1293/3، و: ديوان المفضليات، بشرح القاسم بن محمد الأنباري، ص603.

وفي هذا الاستفهام أيضاً ملمح التهكم والسخرية بالنعمان بن المنذر، وقد ذكر الشاعر ما يدعم ذلك حين صوَّر الرجل بصورة المطمئن الهانئ فهو يعتاد مواضع سمَّاها الشاعر وهو يغني بشعره وفي هذا كناية عن عدم اكتراث الرجل بوعيد النعمان، ومن ثَمَّ فإن في ذلك تهكُّماً بسلطة النعمان.

الموضع الثاني: قال رَاشِدُ بنُ شِهَابٍ اليَشْكُرِيُّ[1]:

مَنْ مُبْلِغٌ فِتْيانَ يَشْكُرَ أَنَّنِي أَرَى حِقْبةً تُبْدِي أمَاكِنَ للصَّبْرِ[2]

يقول الشاعر: من يبلغ شجعان قومي بني يَشْكُرَ أني أرى أحداثاً كثيرة وشدائد تستدعي منهم أن يوطِّنوا أنفسهم على الصبر[3].

وقد جاءت (من) في موضع رفع على الابتداء، وهي لطلب التصور، أي لطلب تعيين رجل يبلغ فتيان يَشْكُرَ هذه الرسالة.

والغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو الأمر، فالشاعر يريد أن يعلم قومُه بتحذيره لهم من قدوم أحداث كثيرة وشدائد، وهو يريد أن يستعدوا لها ويوطِّنوا أنفسهم على التجلُّد لها والتصبُّر عليها، فأراد أن يوصل إليهم رسالة يأمرهم بذلك ولكن ليس عن طريق الأمر المباشر وإنما عن طريق أسلوب الاستفهام المُراد منه الأمر، أي أبلغوا فتيان قومي بوصايتي ورأيي، وقد ذكر الشاعر ما يفيد هذا المعنى حين قال: (أَنَّنِي أَرَى)، ورؤية الشاعر هنا قلبية، فهي على سبيل الحكمة والرأي.

الموضع الثالث: قال الخَصَفِيُّ المُحَارِبِيُّ[4]:

مَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ بنَ نُعْمَانَ مَأْلُكاً وسَعْدَ بنَ ذُبْيَانَ الذي قَد تَخَتَّمَا[5]

المَأْلُك: الرسالة، تَخَتَّمَ: لبس العمامة كما تلبسها الملوك وتكبَّر وتعظَّم، يقول: مَنْ يبلغ سيِّدَي بني ذبيان سعدَ بنَ نعمان وسعدَ بنَ ذبيان الذي تعظَّم أنهما قد خذلانا في الحرب[6].

وقد جاءت (مَنْ) في موضع رفع على الابتداء، وهي لطلب التصور، أي لطلب تعيين رجل يبلغ سعدَ بنَ نعمان، وسعدَ بنَ ذبيان رسالة الشاعر ومقالته حول خذلان بني ذبيان لقوم الشاعر في الحرب.

والغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو الأمر، فقد آلم الشاعرَ خذلانُ بني ذبيان قومَه في المعارك فأراد إيصالَ رسالةٍ إلى الرجلين المذكورين، ليس عن طريق الأمر المباشر، وإنما عن طريق أسلوب الاستفهام المُراد منه الأمر، أي أبلغوا هذين الرجلين رسالتي ومقالتي في فعلتهما القبيحة، وقد يحمل الاستفهام هنا معنى اللوم والعتاب لِمَا في السياق من معنى يفضي إلى ذلك، ومن ذلك أن الشاعر وصف سَعْدَ بنَ ذُبْيَانَ بالتكبُّر والتعاظم حين ذكر أنه (تَخَتَّمَ) أي لبس العمامة كما تلبسها الملوك.

❖ **الخاتمة ونتائج البحث:**

---

1 رَاشِدُ بنُ شِهَابِ بن عبدة بن عصم بن ربيعة. شاعر جاهلي وسيد شريف من بني جهيل من يَشْكُر، مدحه نصرُ بن عاصم بن الحليف اليشكري لحمله ديات قومه في عهد عمرو بن هند. ينظر: المفضليات، ص307، و: شرح اختيارات المفضل، 1318/3.

2 المفضليات، ص310.

3 ينظر: ديوان المفضليات، بشرح القاسم بن محمد الأنباري، ص614، و: شرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون على المفضليات، ص310.

4 واسمه عامر المحاربي، وهو من بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان، شاعر جاهلي، كانت بينه وبين الحُصينِ بنِ الحُمَامِ المُرِّيّ مساجلة. وكانا قبيل ظهور الإسلام. ينظر: الأعلام، 250/3، و: المفضليات، ص318.

5 المفضليات، ص 318.

6 ينظر: ديوان المفضليات، بشرح القاسم بن محمد الأنباري، ص624، و: شرح اختيارات المفضّل، 1349/3.

نستعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها في تتبعنا للمعاني البلاغية لاسم الاستفهام(من) في ديوان المفضليات للمفضَّل الضَّبِّيّ، وهي تتلخص فيما يأتي:

- تعددت الأغراض البلاغية التي حملها اسم الاستفهام(مَنْ)، فقد يحمل غرضاً واحداً أو غرضين أو أكثر بحسب الحاجة إلى ذلك من قبل الشاعر، ولم تكن على درجة واحدة من الظهور فبعضها كان واضحاً، وبعضها يحتاج إلى إمعان الفكر وزيادة التأمل.
- تنوعت الأغراض البلاغية التي حملها اسم الاستفهام(مَنْ) من تهكم واستهزاء وتحسر وتوجع وأمر.
- برز الدور المهم الاستفهام في توجيه البنية الأساسية لتراكيب البيت الشعري كلها، فله تأثير في انتقاء الألفاظ التي تناسب الغرض البلاغي وتخدمه.
- أدّى السـياق دوراً بارزاً في إظهار الجمالية البلاغية إذ حرّك الخيال، وأثار الانتباه، وألقى بظلاله على الظواهر التركيبية واللغوية، وهذا ما زاد القارئ تفاعلاً مع الأغراض التي قصدها الشاعر، ولولاه لفقد الاستفهام كثيراً من رونقه.

❖ **مصادر البحث ومراجعه:**

1. القرآن الكريم.
2. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن، أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني(تـ739هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
3. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (تـــ 1362هـــ)، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.
4. حاشية الدسوقي على شرح السعد (شرح سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح)، ضمن (شروح التلخيص)، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي(ت 1230هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت.
5. ديوان المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، مع شرح أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري(ت304هـ)، عني بطبعه: كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.
6. شرح اختيارات المفضل، أبو زكريا يحيى بن عليٍّ الخطيبُ التبريزي(تـــ502هـ)، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.
7. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس(تـ395هـ)، تح: محمد علي بيضون، ط1، 1997م.
8. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن (شروح التلخيص)، أبو حامد أحمد بن علي، بهاء الدين السبكي(ت 773هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت.
9. الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بالمعروف بابن النديم(تـ 438هـ)، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997م.
10. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(تـــ817هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
11. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه(تـــ180هـــ)، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، د.ت.
12. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(تـــــ711هـ)، دار التراث العربي، بيروت، ط2، 1992م.

13. معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(تـــ 626هـ)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.
14. المفصل في علم العربية، أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله (ت538هـ)، تقديم وتمكين محمد عزّ الدين السعدي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1990م.
15. المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي(ت178هـ)، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط6، 1979م.
16. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن (شروح التلخيص)، أبو العبّاس أحمد بن محمّد، ابن يعقوب المغربي(ت 1168هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت.